العنوان:	بعض الحركات الدينية الجديدة فى إفريقيا جنوبى الصحراء
المصدر:	مجلة ديوجين - مركز مطبوعات اليونسكو - مصر
المؤلف الرئيسي:	كوفوواما، آبل
مؤلفين آخرين:	حسب الله، محمود(مترجم)
المجلد/العدد:	ع187
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2001
الصفحات:	82 - 94
رقم MD:	747065
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الحركات الدينية، الديانات الإفريقية، الكنائس الإفريقية، المسيحية المقدسة، العقيدة النجونزية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/747065

بعض الحركات الدينية الجديدة
فى إفريقيا جنوبى الصحراء

آبل كوفوواما
Abel Kouvouama

فى السنوات الأخيرة أخذ التكاثر الخصب للحركات الدينية الجديدة فى إفريقيا، وما قامت به زمرة من الأفراد، فى البحث عن معان جديدة للإيمان يستحوذ على اهتمام علماء الدين. غير أن تفسيراتهم لأهمية تلك «الازدهارات الدينية» تثير عددا من المسائل، وبالأخص مسائل عن معنى واستخدام كلمة «جديد» فى الدين. وبدلا من أخذ تلك الكلمة حرفيا بمعناها اللفظى، علينا أن نفهم هذا «التجديد» الدينى على مستويين من التعامل مع ما هو مقدس، أحدهما أفقى، والآخر رأسى. فإذا بدأنا بالمستوى الأفقى، فإن هذا التجديد الدينى قد يشاهد فى التعديلات المطردة التى أدخلتها الديانات الإفريقية التقليدية عندما تواجه، سواء بالمسالمة أو بالعنف، الديانات التى نشأت فى الغرب أو فى آسيا، وقد أحدثت تلك المواجهات حركات تنبئية وتقليدية حديثة، كما أوجدت كنائس مستقلة. وسوف نلمح فيما بعد إلى الاقتباسات ثنائية الاتجاه والمواءمات التى حدثت في بعض الديانات المرتبطة بالأنبياء فيما يتعلق بتنظيمها، وشعائرها، وطقوسها الدينية، والتبليغ الساحر للبّ الجماهير عن الحقيقة الدينية. ومن جانب آخر، فإنه يمكن إدراك التجديد الدينى فى التعديلات وعمليات التجديد فيما قامت به «الديانات المتنقلة»، مثل الإيمان بالحلول والتجديد الساحر للب، من تنقية بالنسبة إلى العملية الأساسية لفهم حياة الفرد، ومجتمع الإيمان.

ويفترض أى مبحث من المباحث التى تؤكد الجزئية التى يلعبها الدين فى تطوير المجتمعات والمناطق والسلطات المدنية أن الحركات الدينية الجديدة هى من ناحية موضع إعادة تقييم مستمرة لعلاقة الناس بما هو مقدس. وذلك من خلال إقامة الشعائر الدينية، وشرح العقيدة بشكل كتابى– ومن ناحية أخرى لعلاقة الناس بمجتمعهم– وذلك من خلال الصلاة، وافتراض القدرة الخارقة على الإبراء الإلهى للمرضى من عللهم وممارسته. ولكى نبسط تحليل واختيار أكثر الحركات الدينية الجديدة بروزا وشهرة،

ترجمة: م. محمود حسب الله

وكذلك مناطق إفريقيا جنوبى الصحراء، التى تكون تلك الحركات فيها أكثر نشاطا وفاعلية، فسوف أبدأ من تعريف عملى للدين، الذى يأخذ فى حسابه تعددية وظائفه، وهى المجموع الكلى للمعتقدات والممارسات فيما يتعلق بعبادة قوة، أو كائن أسمى منزلة، أو سلطة، من خلال وساطة عالم الأسلاف، والقديسين، والكيانات الروحية التى تكفل تكامل ووجود الأفراد والمجتمع.

اعتبارات تمهيدية

لن تعامل الدراسات المتنوعة لرموز الديانات الإفريقية بشمول هنا، وكذلك لن تعمم أو تنقل من منطقة إلى أخرى، وفوق ذلك كله، فإن اهتمامى ينصب على التركيز على وثاقة صلتها بالموضوع.

يوجد جيل أول من الكنائس الإفريقية المستقلة فى بداية القرن العشرين يمكن تصنيفها كحركات دينية جديدة، وهى: الكنائس النبوية لإفريقيا الجنوبية وإفريقيا الغربية. وعندما درس بنجت سانكلر المذهب النبوى للبانتو فى إفريقيا الجنوبية، فى الأربعينيات من القرن العشرين، اكتشف أكثر من ألفى كنيسة مستقلة. وهو يقترح تصنيفها وفقا لإجراءاتها التاريخية فى التكون والنشوء إلى نوعين رئيسيين. والعامل المميز من وجهة نظر سانكلر هو أسلوب انفصال الكنيسة عن أصولها التبشيرية، سواء أكان انفصالا مؤسساتيا، أو مذهبيا، بالإجماع أو وسط صراع من أصولها التبشيرية، وهو ما يمكن أن يؤسس من جديد بمساعدة المصادر المكتوبة فى منعطف القرن العشرين. وباستعمال المصطلحات العلمية لسانكلر، فإن النوع «الإثيوبى» يغشى كنائس البانتو التى انسحبت من كنائس البيض التبشيرية لأسباب عرقية، مطالبة باستقلالها مع محافظتها تماما على تنظيم الكنيسة نفسه، وتفسير الكتاب المقدس، كالبعثات البروتستانتية. وتشير الكنائس «الصهيونية» المستقلة إلى نفسها بأنها «كنيسة الرب»، «الرسولية»، «الحلولية»، وتاريخيا، فإنها نشأت أصلا من الكنيسة الأمريكية، والكنيسة الرسولية الكاثوليكية النصرانية فى بيت المقدس، من مدينة «زيون» (ألينوى»)، وأيديولوچيا، فإنها تنسب إلى جبل صهيون فى القدس. ويشير سانكلر إلى سمتها التوفيقية، كما يستدل عليها من ممارساتها فى إبراء المريض، والموهبة اللغوية، وتنقية الشعائر والطقوس الدينية، وصيانة محظورات ومحرمات معينة. وعلى الرغم من هذه الخصائص الفردية، فلهذه الكنائس إصرار مشترك على استقلالها المناظر لاستقلال الكنائس ذات الأصل البروتستانتى، وعلى وجود نبى أسود، وعلى رفض التسلط العرقى الأبيض. ولا يزال عمل سانكلر إلى اليوم أساسا لا غنى عنه لدراسة أكثر توسعا.

ثم هناك الجيل الثانى من الكنائس التى يمكن وضع الكنائس النبوية ذات التقاليد الحديثة بينها، مثل كنائس المذهب الإنجونزى («انجونزا» بلغة الكونغو تعنى «نبى»)، والكنائس النبوية التى نشأت تحت نفوذ البعثات التبشيرية المتعصبة، مثل «جماعات الرب»، و«المؤمنون بحلول الروح القدس فيهم»، والمعمدانيون، والمنهجيون، وأتباع لوثر. وجورج بالاندبير، الذي يرى فى النصرانية (اليسوعية) الإفريقية أهمية ثقافية واجتماعية، كذلك يؤكد قدرتها على التجاوب مع المحن الذاتية التى تسببت عن الثوران الذى جاء به الاستعمار، وهو يعين هنا:

محاولة للتوفيق بين رسالة البعثات المسيحية إلى البيئة الإفريقية، أو إعادة الاستعمال لعناصر المحافظة على بقاء الدين التقليدى فى محيط متنصر، وهذه السمة التوفيقية متعلقة بسمة أخرى ظاهرة جدا، وهى: أن الكنائس الجديدة هى فى الغالب معادية بشدة للطقوس الدينية الفردية القديمة، وبذلك تؤكد طبيعتها الوحدوية، كما أنها معادية أيضا لممارسات العرافة أو السحر التى تكاثرت في المجتمعات المتفككة[١].

وبالبدء بالمجموعة الشائعة للمعتقدات والممارسات الشعائرية التى نراها هذه الأيام، حاول مؤلفون آخرون تحديد الصلة، من خلال الكنائس الإفريقية، بإرجاعها إلى أصلى محلى له جذوره فى الثقافة «التقليدية» المجاهر بها على نحو أكثر أو أقل، صراحة وعلانية، وكذلك فى العناصر النصرانية الواردة. وقد ألقت دراسات الرموز الكتابية الناتجة ضوؤها الساطع على الطبيعة «الفطرية» أو «النبوية» أو «اليسوعية» أو «الإحيائية» لهذه الحركات الدينية[٢]. وفى المحيط الأيديولوچى السائد بين عامى ١٩٦٠ و١٩٧٠ أكدت دراسات أخرى على السمة المناهضة للاستعمار والقومية، وحتى الثورية المتطرفة للحركات الدينية، التى كانت أخيرا باعثا للكنائس الإفريقية المستقلة[٣]. وبالرجوع إلى هذه المادة المكتوبة المرفقة، يبين چان كلود باربيير كم هى مبهمة وغامضة، وبالأخص عندما نفكر فى الكنائس التى لا تدعى أنها كاثوليكية أو بروتستانتية على أنها «مستقلة». وحقا فإن تلك الكنائس المنفصلة يتم تعريفها بأنها مستقلة، حيث أبقت مع ذلك على الفقه المذهبى الأصلى للكنيسة الأخيرة، مع أنها أصبحت مستقلة بذاتها تجاه الكنائس التبشيرية بالمصلحات التنظيمية، وقد تبنت الكنائس التثاقفية، التى على «الأمر الإلهى»، والتى بدون نفوذ تبشيرى، أشكالا دينية غريبة عن محيطها الخاص، وعلى سبيل المثال الأرثوذكسية الموحاة، والجماعات اليهودية ذات التنظيم المشترك، والكنائس التى انبثقت عن الحركات النبوية الكبيرة فى باكورة القرن العشرين، والتى وجدت فى القراءة المباشرة للكتاب المقدس، بالإضافة إلى

استقلالها التنظيمى، توافقا وتناغما وثيقا بين الثقافات الإفريقية، والعهد القديم، الذى كان مصدر صلواتها للتعاويذ والرقى المصممة لطرد الأرواح الشريرة[٤].

وسوف يكون هدفنا هنا هو أن نحلل، بصورة نقدية للنصرانية السماوية والمذهب الانجونزى كمثلين للتجديد الدينى، واللذين هما ديناميكيان فى استخدامهما لكل من النواميس الشفهية والمكتوبة. وسوف نبين أيضا كيف أنه فى كل من هاتين الديانتين الإفريقيتين يوجد دليل واضح للثقافة العرقية المنقولة وللثقافة المؤسسة إقليميا، والتى أدت إلى مرونة المذهب والممارسات الدينية. وبعدئذ سوف نفحص كيف بدلت هذه الحركات الدينية الجديدة ذواتها، بينما فى الوقت نفسه تبدلت علاقة المؤمن بالدين والمجتمع، من خلال عملية نقض النزعة الإقليمية، والنزعة العقلانية لوضع الفرد.

المسيحية المقدسة: ديانة «عابرة» وكنيسة؟

فى عام ١٩٤٧، على الحدود بين داهومى (بينين الآن) ونيجيريا، ظهر يسوع المسيح للمعلم الملهم صمويل بيليوى جوزيف أوشوفا، الذى استمر ليؤسس كنيسة المسيحية المقدسة.. على غرار كنائس ألادورا من شعبة الشبروبيم (الملائكة) والسيرافيم التى نشأت فى العشرينيات من القرن العشرين. وظهرت أولا فى نيجيريا، حيث يفترض أن المعلم الملهم أوشوفا قد لجأ إليها فرارا من اضطهاد القساوسة الكاثوليك، ولكن حدث الاعتراف الرسمى للمسيحية المقدسة فى داهومى فى عام ١٩٥٦، وبعدئذ انتشرت الحركة فى الستينيات من القرن العشرين كالنار فى الهشيم فى توجو، وغانا، وساحل العاج. وفى السبعينيات من القرن العشرين وصلت أخيرا إلى جابون، والكاميرون، والكونغو، وزائير، وذلك بمساعدة صياد سمك وتجار من نيجيريا وبنين. كذلك تأصلت المسيحية المقدسة أيضا فى الولايات المتحدة وبريطانيا، حيث يقال إن لها ستا وعشرين أبرشية، وكذلك فى فرنسا ودوائرها فيما وراء البحار، حيث توجد سبع أبرشيات، ومن أجلها وضعت الأسقفية منذ عام ١٩٨٦ تحت التوجيه الروحى لابن المعلم الملهم إيمانويل أوشوفا، حيث قد رحل عن الدنيا المعلم المؤسس أوشوفا فى سبتمبر ١٩٨٥. وأصبح القسس رعاة الأبرشيات من شعبة نيجيريا فى صراع مع قرنائهم المعاصرين من بينين بسبب النزاع على الخلافة. ويتعلق هذا بنص تأسيس الكنيسة الذى كتب أصلا باللغة الإنجليزية (كتبه المعلم بمعاونة مجلسه فى سبتمبر ١٩٧٦)، وبالتالى نشرت ترجمته الفرنسية فى بينين بتاريخ ١٩٧٢ بعنوان "Lumiere du Christianisme" (نور المسيحية المقدسة). ويقدر إجمالى الأتباع بعدد قدره ٨،٣ ملايين، منهم ٨ ملايين فى نيجيريا وحدها.

ووفقا لما كان المعلم المؤسس يحب أن يقوله من وجهة نظر العقيدة، فإن المسيحية

المقدسة هى توليفة من البروتستانتية، واليهودية، والكاثوليكية، والإسلام، كما أنها انبثاق مباشر من «الروح القدسى» وكلمة الرب. ودفاعا عن مثل أعلى للعيش، تعكس حياة الملائكة فى السماء، والذى يعنى «المسيحية المقدسة»، فإن الكنيسة تتميز بالأصولية الإنجيلية، أى «بالإنجيل بكامله»، وتستلهم كلا، من العهدين القديم والجديد. وهى تؤكد على العطايا المقدسة، والعلاج الروحى ككشف لقدرة الروح القدس، يفسر رؤيتها المانوية للعالم فى قبضة صراع بين قوى الخير الحامية وقوى الشر الحاقدة، تلك القوى التى تتحقق من خلال استخدام «الأوثان». وعلاوة على نسكها القوى (بأن استعمال الكحوليات والتبغ محرم تماما والجنس مقيد، ونحو ذلك)، فإن كنيسة المسيحية المقدسة تتميز أيضا بطوقسها الدينية للصلاة المتقدة حماسا: تراتيل تغنيها جوقة من المنشدين فى الكنيسة، وخطب جياشة محركة للعواطف، تقطعها صيحات ونداءات من أجل الشهادة الشخصية، والإلهامات الموحى بها افتراضا من الروح القدس. وقد نشرت المسيحية المقدسة عددا كبيرا من الكتيبات الدينية (مختصة بالصلاة والقداس) تجمع وتنسق الخدمات الأسبوعية، بصلوات وتراتيل معينة، واحتفالات شعائرية خاصة، وتقويم لأيام الأعياد، كما أنها تفصل أيضا قواعد الأحكام المختلفة، وتنظم على نحو دقيق عمل التنظيم، وتشرح بعناية الكيفية التى يجب أن تشاهد بها الممارسات. وبتعبير آخر، فإنه يوجد قصد واضح للتحديث عن طريق النص المكتوب.

والاحتفال بالعبادات، وعلى سبيل المثال للاحتفال المخصص لمريم العذراء، أو القديس ميخائيل، يصاحب بمشاهدة شعائر دينية كثيرة، مثل حماية خصوبة الأنثى، والاحتفال بعيد الحصاد، والقمر، وعيد ميلاد المسيح، وأحد العنصرة، وعيد الفصح، وتدشين المواقع المقدسة (والتى يمنع دخول النساء فيها فترة حيضهن). وغالبا ما يقام الهيكل «المذبح» فى الكنائس، وهو يحمل صليبا، ويزين بالزهور، والتماثيل، وبشمعدانات ذات سبعة أفرع، شمعها مشتعل باستمرار، وتغلب الفضة على المشهد كله، والألوان الرئيسية هى الأزرق، والأصفر، والأبيض (أما الأحمر والأسود فمحرمان). وأثناءالخدمات يستعمل كل من الماء المقدس والبخور بإفراط، كذلك سعف النخل، وتكثر ولائم الطعام، واستخدام دورات العلاج تتألف من الفاكهة، وأخيرا، فإن هناك المشاهدة المتأنية النابعة من الإيمان المطلق للرسالة الكتابية (المتعلقة بالكتاب المقدس)، وروح الكنيسة العتيقة. وكل ذلك يدل على خليط من العناصر الناشئة أصلا من ثقافات مختلفة. ويثبت هذا الحشد المتراكم للموارد المادية والرمزية القوية أن المسيحية المقدسة ليست فقط مطابقة لكل أنواع الإيمان، بل يثبت أيضا حقيقة ابتداعها معان جديدة ممكنة من خلال قراءة إبداعية للديانات الكتابية. والآن سوف نتجه إلى عقيدة النجونزية، وهى ديانة استلهامية أخرى بارزة فى إفريقيا الوسطى.

عقيدة النجونزية، ديانة إقليمية؟

من عشرينيات القرن العشرين فصاعدا، أى منتصف العصر الاستعمارى، مارست المدن الإفريقية الوسطى (وأساسا فى أنجولا، والكونغو كينشاسا، والكونغو برازافيل)، فترات من النمو الكبير للدين، تعتمد على السياق السياسى الخاص بكل من هذه البلاد. وهذا صحيح، ليس فقط بالنسبة للكنائس الرسمية ذات المنشأ التبشيرى، بل وأيضا بالنسبة للكنائس التنبئية، واليسوعية، والتقليدية الحديثة. و«المتنبئون» الذين كان أتباعهم يسلمون أو يقرون بأن لهم قدرة خاصة على الاتصال بالرب، والبوح بكلمته، كانوا غالبا من المعلمين المعمدانيين أو المخلصين، وقد تدربوا فى البعثات التبشيرية المسيحية، وقد تجلى حلول الرب فيهم عندما أدوا أفعالا غير عادية، وبالأخص معجزات الشفاء. وقد طالبت هذه الكنائس بشخصية خاصة للمسيحية الإفريقية جنبا إلى جنب مع المسيحية الرسمية، ونادت أحيانا بتحرير السود وسيادتهم فى المستقبل، وكانت أنشطتها موضع رقابة وقمع من السلطة الاستعمارية فى كل مكان من إفريقيا الاستوائية الفرنسية.

والحركات الأربع الرئيسية التى برزت فى أثناء فترة الحرب الداخلية كانت هى: الكيمبانجية، والنجونزية، والنصرانية التنبئية (أو اللاسية Lassysm)، والماتسوانية[٥]. وهذه الحركات التى تعد الآن قديمة، وإن صارت نشيطة مرة ثانية فى السنوات الأخيرة، لا تزال بارزة فى الساحات الدينية والسياسية فى دول إفريقيا الوسطى. وفى الوقت الحاضر فإن بعضا منها فى نضال مع مشاكل الخلافة التى تلت موت مؤسسها المتنبئ، هل تكون الخلافة خلال العائلة، أم بتطور الكهنوت والمركزية (كما حدث مع الكنيسة الكيمبانچية)، أم بالسّبْتية، أم بتوقع تدخل إلهى بتعيين خليفة، فى عديد من كنائس أخرى تنبئية (نجونزية). وقد درست على نحو طفيف الفروع المختلفة للنجونزية خلافا للكيمبانچية، التى كان الأمر معها محيرا أحيانا. وعلى أية حال، فإن الكيمبانچية ببساطة صورة مغايرة للنجونزية (بلغة الكونغو تعنى «نبى»)، تنحدر عقيدتها وشعائرها فى خط مباشر من معتقدات المؤسس سيمون كيمبانجو، فيما عدا ميراث النجونزى (معتنق المذهب). فى الكيمبانچية يمر قدما عبر الأسرة (أى من الأب إلى الابن)، مع المتنبئين المتعاقبين (أى المتنبئ المؤسس ثم المتنبئين الذين يحلون محله) الذين يتبعون تراث الانتقال الدينى والموروث «للحقيقة الدينية». وكمبدأ أساسى فإن هذا تخصيص للميراث الروحى لكيمبانجو فى أسرة واحدة، هو ما تعارضه أغلب الكنائس النجونزية الأخرى.

ومنذ عشرينيات القرن العشرين فإن هذه الكنائس البارزة جدا فى أنجولا والكونغو

كينشاسا والكونغو برازافيل تحتفظ بلقب النجوزية العام. وتعترف هذه الحركة بسيمون كيمبانجو، ولكنها لا تقر أى زعم أو دعوى بأسبقيته أو بأفضليته على المتنبئين الآخرين (أو النجونزيين). وطالما كانت الكنائس النجونزية هى موضع الاعتبار، فإن كيمبانجو ما هو إلا مجرد متنبئ فى صف المتنبئين الأفارقة، الذين هم غالبا كونغوليون، والذين كان البعض منهم «رحالة مرافقين»، وعانوا من ترحيلهم معا، وتحت إلحاح حاجة الشعب الفقير الجائع الباحث عن تأمين وجوده فى مواجهة الحروب المستمرة، يرحل المتنبئون والقساوسة النجونزيين من طرف إلى طرف فى البلاد الثلاث كلها، وهم مدعمون فى هذه المهمة بميراث ثقافى مشترك فى الكونغو الدنيا، وبتراث تنبئى مديد نشأ بسبب معاناة «الأفكار الرئيسية» الاستعمارية واليسوعية، وذلك من بين عوامل أخرى.

إن إمكان اختراق الحدود لم يشجع فقط الناس على الهجرة «أساسا من أنجولا وكونغو كنشاسا إلى كونغو برازافيل» لأسباب اجتماعية واقتصادية، ولكنه شجع أيضا على خلق شبكات عابرة للحدود «للتعاون الدينى» بين الكنائس التى تشترك فى الأيديولوچية نفسها. وهو الحال مع «كنيسة الروح القدس فى إفريقيا»، التى تأسست فى نزيتيا فى منطقة الكونغو السفلى (جمهورية الكونغو الديمقراطية)، ولها كنائس عديدة فى برازافيل (جمهورية الكونغو)، وخاصة فى الجزء الجنوبى (حيث تقوم منظمة الصحة العالمية)، والجزء الشمالى تالانجاى، وكذلك فى لواندا (جمهورية أنجولا). وعقب موت المتنبئ المؤسس ماسامبا إسائى، جاء خليفته المتنبئ مانجيتوكوا الذى رحل عن الدنيا أيضا فى عام ١٩٩٥. وهذا مأخوذ من التصريح الرسمى المنشور:

«كنيسة الروح القدس فى إفريقيا، والمعروفة أيضا بالنجونزية، والتى هى كنيسة المتنبئين، هى مدرسة حقيقية للروحية التى تقبل الكتاب المقدس كوثيقة مصدر وحيدة للإيمان، ومذهب الكنيسة قائم على تعاليم المتنبئين: أمبومبا فيليب، وماسامبا إسائى، ومانجيتوكوا لوكومبو. وأغلبية أنشطة الكنيسة مكرسة للوعظ بالبشارة، وشفاء المرضى، وطرد الأرواح، والرقى. وهى تعارض الوثنية والشعوذة، والسحر، والخزعبلات، وتؤكد أن يسوع المسيح هو الواحد والمنقذ الوحيد للبشرية».

إن الكنيسة فى الوقت الحاضر بدون متنبئ يمكنه أن يعمل كنقطة التقاء للأبرشيات المتنوعة المتفرقة فى البلدان الثلاث لإفريقيا الوسطى، ولكنها فى انتظار علامة من الرب هى التى سوف تختار خليفة فى عام ٢٠٠٠، وفقا لنبوءة قالها مانجيتوكوا قبل وفاته مباشرة. وهناك بالإضافة إلى ذلك لجنة كنائس الروح القدس فى إفريقيا»، التى يرأسها المتنبئ ماسامبا دانييل، الذى يقدم نفسه كتابع مباشر للمتنبئ المؤسس، ثم كذلك كنيسة

الروح القدس المتحدة للكونغو برئاسة ماڤوندا نتانجود، منافس ماسامبا إسائى، وكلاهما كانا من «الرحالة الرفقاء» لكيمبانجوو، الذى مات عن عمر يناهز ١٠٨ أعوام فى برازاڤيل فى ٨ يولية ١٩٩٦. ورغما عن تلك المنافسات الشخصية، فإنه يوجد «تعاون دينى» بين تلك التجمعات الكبيرة للكنائس النجونزية. وهذا يضع المذهب النجونزى كحركة دينية كبيرة، لها نفس الشهرة فى البلاد الثلاث كلها، وتنعم على كل تابعيها، من خلال ناموس عام من المعتقدات وممارسات العلاج، ويسمو الشعور القوى بالمشاركة فى نفس الهوية الدينية فوق الحدود القومية.

والمذهب الأساسى لكنيسة الروح القدس المتحدة يتأسس على صلاة تأتى رسالتها من الكتاب المقدس. وتشتمل الطقوس عادة على قسمين، القسم الأول هو طقوس الخدمة (الخاصة بيوم أو زمن معين). وفى الأول يكرس العابدون والنجونزيون أنفسهم، وهم جميعا فى ردائهم الأبيض، مرتدين الشعارات المميزة لمرتبتهم ومنزلتهم الشرعية، لصلوات الحمد والمدح، والعظات التحذيرية، وتبث هنا وهناك التراتيل التى تنشدها جوقات من المرتلين الإناث والذكور مع مصاحبة الموسيقى. أما القسم الثانى من الخدمة فيشرع فيه بعلاج المرضى، وهو يبدأ برسم بالصلاة «فى الظلال». ومع الأبواب والنوافذ المغلقة، يقف رعايا الكنيسة فى صفين، ويبدأ أحد المبشرين فى الجرى بسرعة كبيرة جدا بين العابدين، ملوحا فى حركة موجية بردائه الأبيض، بينما تنشد المزاميرمن الكتاب المقدس مترجمة إلى اللغة الكونغولية. ويبقى المرضى بمفردهم فى الوسط من أجل حل أنواع السحر الذى أصابهم، ويجلسون وأرجلهم ممتدة وأذرعهم معلقة بأجنابهم، بينما يشرح كل منهم مشكلته لنجونزى مكرس يصغى إليه. ويمشى النجونزى حول الشخص المريض، وهو واضع يده على رأسه، ويسرع فى حركته أكثر فأكثر، وبعدئذ يموج رداءه الأبيض، «علامة» kidimbu، وبعد ذلك يضع يديه على وجه المريض المتألم، ثم على رقبته، ثم على كتفيه، ثم على ذراعيه، وبعد ذلك يطلب النجونزى من المريض أن يركع، ويغطى رأسه بردائه الأبيض، وأخيرا يقف النجونزيون على شكل دائرة، ويجهرون بصلاة عامة على المرضى الراكعين، الذين يفترض فيهم الآن أنهم قد تحرروا مما أصابهم من السحر. وبعد شعائر العلاج الروحى يبدأ «تقدير الثقل الروحانى فى الميزان» الملهم بواسطة المؤمنين بالحلول، وهم النجونزيون الرسميون، المعروفون باسم muntwadissi، ثم «القياس» بواسطة لمس المستوى الروحى الذى وصل إليه عابدون معينون، الذين يدعون أنهم قد تلقوا الهبات الروحية، وهى: «كرامة» ابراء المرضى، وإنشاد التراتيل، ونحو ذلك. وتتأسس ممارسات العلاج على الصلاة، والماء المقدس، واستعمال نقيع الماء، والتلويح «بالمناديل» الشعائرية المقدسة، وتكون الأردية الكهنوتية الملبوسة باللون الأبيض أو الأحمر. والاعتراف بالعلاج «وتقدير الثقل فى الميزان» هما أعلى نقطة لشعائر

الإبراء، حيث تكون هى لحظة الامتياز عندما يوحى إلى أصحاب الكرامة بين النجونزيين.

ووفقا لهذا الفرع الأول، فإن أى شخص مسته الروح القدس يمكن أن يكون «نجونزيا» بالمعنى الأوسع، سواء أكانت هذه تشير إلى ملكة فطرية لنجونزيين رواد معينين، أو ملكة تحل بأناس آخرين فى وقت خاص، أو مكان معين، وهو أمر متوقف على نقاء الروح، أو المشاهدة الدينية، أو قوة المصلى. والروح القدس التى يقال إنها تعمل من خلال الوسيط النجونزى، يظن أنها تؤدى معجزات، وخاصة من ذلك النوع ذى الطبيعة العلاجية. وهذه الكنائس النجونزية، وتسمى أيضا «كنائس الروح القدس» تتمسك بالكتاب المقدس كسلطة لها، وتلجأ دائما إلى الروح القدس فى محاولة تؤكد بها عصريتها. وعموما فإنها قد نتجت عن بروز كنائس صغيرة بشكل متمركز من التنظيم. ووحدتها الروحية بشأن الصدق الدينى، وطقوسها الدينية المتماثلة، وممارسات الإشفاء - سواء فى الكونغو كينشاسا أو الكونغو برازافيل، أو أنجولا - تعطيها جميعا تراثا مشتركا من المعتقدات، على الرغم من المنافسات الشخصية بين القساوسة. ووجود نمط تنبئى شخصى، وكذلك نمط مذهبى حلولى، يتضمن المشاركة فى «الزعامة» بين كل المؤمنين من خلال هبة الروح، وهى المنفتحة للغدو والرواح المستمرين بين نواميس كنائس الروح القدس، ونواميس تلك الكنائس الخاصة، كنائس الكتاب المقدس، والناموس الشفهى الغالب للكنائس الإفريقة القديمة، التى تم تأسيسها ورئاستها بمتنبئين محللين، أكثرهم من المنطقة ذات الثقافة الكونغولية.

وعلى أية حال، فإن هناك فرعا ثانيا له أسلوب عمل أكثر راديكالية على نحو كبير، وهو: «الكنيسة السوداء العالمية للطريقة النجونزية» (ENVUN) للمتنبئ أوجست تسولا. لقد قرر هذا المتنبئ أن يجدد تجديدا عصريا الديانة النجونزية بإسناد مهمة وضع المذهب كتابة إلى التلاميذ المتعلمين. وكما ينص ووفقا لوثيقتهم: «دراسة فلسفية للديانة النجونزية»، ودورها العلاجى الروحى، هى مثل: «الكنيسة السوداء العالمية»، فإنها تنص على ما يلى:

«الديانة النجونزية هى ديانة الشعب الأسود، قامت فى إفريقيا الوسطى، وبالأخص فى الكونغو كينشاسا. وسيمون كيمبانجو «النجونزى»، والمخلص، هو الرجل الذى من خلاله جاء الشعب الأسود، وخاصة شعب الكونغو، ليعرف كلمة الحق والصدق للرب من أجل أنه قد تلقى الروح القدس من الأب كجوهر ذاتى شخصى، يقودنا لمعرفة بعض نعم الرب علينا، وهو يعمل كوسيط بين الكائنات الكونية والبشرية التى تعيش على الأرض. وترفض الديانة النجونزية تعدد الالهة، ولكنها تقبل أولئك الذين يصلون ويؤمنون بإله واحد فقط، هو الذى خلق السماء والأرض. والديانة النجونزية هى ديانة للناس السود، وهى سلاح للكفاح من أجل السلام، والصحة، والعدالة الاجتماعية، كما أنها أيضا الحكمة الكبرى

للنجونزى. وسيمون كيمبانجو كابن فاضل بارز للكونغو، اختاره الرب ادعظ ويبشر بالأخبار الطيبة للرب بين الكونغوليين، مظهرا نفسه فى هيئة الكمال والطاعة للتعاليم، والنصيحة التى تلقاها من الرب الذى هو أبوه المقدس. والروح القدس التى تهبط علينا هى الوحيدة والخادم الوحيد الذى يجب على الديانة النجونزية أن تقبله (....)، لأن الروح القدس هى فقط القادرة على توصيل كل شيء إلى النجونزى. ومن أجل حماية وإعلاء سيادة وسلطة الدين، ثم تلقى وصايا معينة، هى: القوانين الروحية، من الرب عن طريق سيمون كيمبانجو. ولا يتطلب الارتباط بهذا الدين أو التلقى منه مساهمة مالية، ولكن بالأحرى اختبار لصحة الفرد أولا، ثم رغبة خالصة، وبمجرد أن يظهروا رغبتهم، فإن مقدمى الطلب لابد وأن يولدوا من جديد، أى أن يحصلوا من معمودية رب الدين، التى سوف تأتى بهم خلال مراتب أطفال الرب، ويتم اعتبارهم أتباعا مخلصين للديانة النجونزية، وسوف يتلقون تعاليم الأخبار الطيبة للرب من المذهب النجونزى، من خلال سيمون كيمبانجو. ويجب أن يفهم المؤمن النجونزى القيمة العملية للدين، وأهميته فى حياة الأفراد وفى المجتمع. وإضافة إلى ذلك، فإن الديانة النجونزية لا تعترف بأى قديسين أجانب، وعلى سبيل المثال، القديسون من ديانات واردة إلى الكونغو عن طريق الاستعمار. وقديسو الديانة النجونزية فقط هم الناس السود الذين نضجهم ورشدهم فى حب الإنسانية ضخما وممتازا، أولئك الناس الذين يجاهدون من أجل خير الجنس البشرى، وبالأخص من أجل شعب الكونغو الأسود الذى يؤمن به، والنفس السوداء وحدها هى التى تصعد الصلوات التى نقدمها إلى الرب أبينا المقدس. وكل تلك التعليمات تم تلقيها من الرب عن طريق سيمون كيمبانجو. وعلى المستوى الاجتماعى والإنسانى، فإن الديانة النجونزية مهمة لأنها تجرى فى داخلها العلاج، والوعى المتنامى للتجربة (....)، ونحن نحقق الصحة، والسلام، والحرية، وحب جيراننا (...). ونتعلم من خلال هذه الديانة أن الرب هو أيضا موجود بين الشعب الأسود، ويتحقق الشعب الأسود أنهم أيضا قد خلقوا بواسطة الرب. ويمكن للروح القدس، وهي الجوهر الذاتى، أن تدرك وترى ما هو شرير، أو ما هو طيب يؤثر على حياة الناس والطبيعة. ولمعرفة الروح القدس بألفة وصراحة، يجب علينا أن نتبع وصايا الرب، وأن نعمل طيبا أيا ما كان الموقف الذى نجد أنفسنا فيه. إن ديانة بولا مانانجا النجونزى تضفي الصفاء والسكون، لأن الناس عندما طهرت أرواحهم بالمعمودية، فإنهم يسعون إلى فعل ما هو طيب حتى لا يقعوا فى الرجس والنجس، وتنصح الديانة النجونزية الشخص النجونزى بأن يمشى بمفرده، أو يتجنب السلوك القبيح، والاتصال بأولئك الذين لم تتطهر أرواحهم بالمعمودية، وذلك لأن النجونزى يجب أن يتكلم اللغة نفسها (....)، ولذلك فإن الناس الذين ألهموا الروح القدس يندر أن يمشوا مع غير المؤمنين، وأن الناس الذين ألهموا الروح القدس لابد أن يركزوا انتباههم على الرب. وعلى أية حال، فإن المذهب النجونزى يرفض معالجة المريض بنقيع الماء، من أجل أن الماء المقدس بمفرده يعتبر من خلال قوة الروح القدس هو العنصر الأساسى الذى يجب استعماله بواسطة النجونزيين لمعالجة المرض وللقيام بأية شعائر روحية (...). والثراء العظيم للمذهب النجونزى بشأن خلاص الرب (أى تخليص العباد من الخطيئة) يتم تعليمه بذاته، ويأتى بالسلام، والحب، والصفاء، والمعرفة، والتعليم، والصحة، وعلى هذا فإن الديانة النجونزية

لا تقيم أى فاصل بين الأجناس، أو الشعوب، أو القبائل (.....). ويؤمن النجونزى بإله واحد، هو الذى خلق السماء والأرض، والتعاليم التى يتلقاها النجونزى تأتى من هذا الإله الواحد الأحد فقط، وكل الآفاق الروحية العظيمة تأتى منه وحده».

والإصرار على الشخصية التوحيدية للدين، والتلميحات إلى كل من الروح القدس والمتنبئين السود بأنهم هم الوسطاء فقط بين الناس والرب، ورفض استعمال نقيع الماء، وتثبيت العقيدة والتعاليم كتابة، هى جميعها جزء من عملية تمييز هوية الجماعة صاحبة الديانة النجونزية، وبحثها الدائم من أجل التحديث العصرى.

والفرع الثالث من المذهب النجونزى يتمثل فى كل البلاد الثلاث التى سبق ذكرها بكنائس البولامانانجا، وتسمى نفسها أيضا «كنائس النجونزا بل وحتى «النجونزا الصادقة»، ولكنها لا تعطى التعريف نفسه لكلمة «النجونزا» ككنائس الروح القدس، ففى حركة بولامانانجا، التى تصر على انحدارها من «تراث الأسلاف»، فإن لمصطلح «نجونزا» معنيين اثنين: فهو محجوز لقادة دينيين معينين، ويستحضر «أسلاف الماضى الأقوياء المقتدرين»، واكتساب قدرات خارقة تفوق الطبيعية للرؤية أو الفعل عند استهلالها. ويقال إن قدرة النجونزى تأتى من الروح القدس عن طريق سيمون كيمبانجو. ويبجل أتباع هذا المذهب كذلك لاتشمبا فيتا (أو دونا بياتريس) وأندريه ماتسوا جرينار، غير أن الشكل الطقسى والعلاجى يكون مثيرا لشعائر كونغولية تقليدية معينة.

وتحتفظ هذه الكنائس بمكان خاص لكل الأموات الذين لهم غالبا خدمة خاصة كل أسبوع. وتوجد مرجعيات كثيرة للمسيحية، هى: المحظورات، والمحرمات من صنوف الطعام التقليدية الحديثة، والتى تبررها بالقراءة الحرفية للكتاب المقدس، واستعارات من صور التدين المفرط الموجودة فى المذهب الكاثوليكى المألوف فى تبجيل القديس ميخائيل، والقديس ريتا، والقديس رافائيل، وغيرهم.

ومن المهم ملاحظة دور قادة البولا مانانجا الجدد فى التحديث العصرى، للشعائر والطقوس الدينية، وكذلك سعيهم لجعل الشباب مستقلين، ولتثبيت سلطة دينية معينة فى منطقة بعينهما بما يناظر منطقة النفوذ الثقافى الكونغولى. وللتذكرة والتمثيل التخيلى لقيم المجموعة (استمرارية الخرافات والأساطير المتعلقة بامتلاك الأرض، التى هى ملك الأسلاف)، فإن الإقليم يتبنى وحدة للمعنى تدوم مع الزمن.

وفى التحليل النهائي، مازالت المسيحية المقدسة والمذهب النجونزى (سواء كان من الفرع التقليدى الحديث أو الروح القدس) يتواءمان مع تطور وارتقاء المجتمعات الإفريقية، ويعيدان تقييم ممارساتهما، ليعطياها فاعلية رمزية أكبر عن طريق استعمال صور القديسين، والنصوص المكتوبة، والاندماج المستمر فى طقوسها وخدماتها الدينية،

وترتيبات وممارسات جديدة جاء بها المذهب الحلولى- وهو حركة جديدة أخرى من الخارج منتشرة جدا فى إفريقيا. والتأكيد هنا على قيمة الفرد عن طريق سلطة كل من الرب والأسلاف، والنضال ضد القوى الحاقدة (الشيطان والسحرة)، وافتراض مسئولية مباشرة بالنسبة لمشاكل الأفراد من خلال العمل الروحى للعلاج (الذى يؤثر من خلال العمل على الجسد) الذى يأخذ الناس إلى داخل «فضاء حياة متوسطة جديدة»، كالتى لدى لينيك هيربون، لأنهم يدخلون فى تجربة جديدة فى عائلة دنيوية تؤمن من «الإخوة والأخوات فى المسيح». ومع ذلك فهناك اختلافات بين المسيحية المقدسة والمذهب النجونزى. فعلى الرغم من أن كلا منها يعزز ثقافة الشبكات، فإن ثقافة المذهب النجونزى ليست عرقية منقولة، بل هى مفيدة بالهوية المحلية، أى ثقافة إقليم، وفى هذه الحال ثقافة الكونغو. وفى الوقت الحاضر، وبسبب الحركة الكبيرة للشباب، ذوى الأصل الكونغولى، إلى أوربا وأمريكا، يمكن للمرء أن يجد فى ضواحى مدن باريس، وبروكسل، ولندن، ونيويورك، كنائس نجونزية صغيرة مشغولة بكتابة تاريخ موحد للمذهب النجونزى. وعلى النقيض من ذلك، فإن المسيحية المقدسة التى قد انتشرت أكثر عن طريق حركات التجار خلال إفريقيا، وأوربا، وأمريكا، تطور ثقافة تبدو أنها أكثر عرقية منقولة، وأقل ارتباطا بإقليم.

وعلى أية حال، فإن هذه الحركات الدينية الإفريقية الجديدة تبدو، أقل ديناميكية من تلك الحركات المتعلقة بمذهب الحلول، وبعمومية أكثر المسماة «كنائس النهضة» التى تشدد دائما على تابعيها بكونهم ينتمون إلى جميع بلدان إفريقيا، وعالمها الفسيح، وللشبكات المحلية. ومن الجدير بالملاحظة أن الشبكات المنشأة كنتيجة ثانوية للدين تنافس تلك الشبكات التى قد أقيمت فى الجو السياسى. ولذلك فإن هذه الكنائس وموظفيها يعممون صلاتهم الأجنبية باطراد، ولكن أيضا المصادر التى تأتى بها تلك (أموال تعاونية متعلقة بكلا الجانبين، وتمويل دولى يوجه أكثر فأكثر غالبا فى قنواته من خلال الكنائس). وحقيقة أن القساوسة المنتمين إلى العديد من هذه الشبكات فى الوقت نفسه، ولهم عادة وظائف، تعنى أنهم قادرون على مركزة المعلومات، وعلى تعيين أين تصنع القرارات، وعلى وضع أنفسهم على أرضية مشتركة، وعلى اكتساب سلطة وقوة. وتصل هذه الحركات الدينية الجديدة فى إفريقيا إلى داخل كل مستويات السكان، الفقراء منهم والمثقفين. وهى تحول كل فرد إلى موقع من السلطان الإلهى، وتدخل مجموعة مبادئ وقواعد جديدة لتتعايش مع، وتعمل على خلق هويات جديدة، حتى وإن كانت خادعة.

Notes

1. G. Balandier (1953), Messianismes et nationalismes en Afrique noire, in *Cahiers Internationaux de Sociologie*, vol. XIV (Paris, PUF), p. 43.
2. See publications by R. Bastide (1961), V. Lanternari (1962), H. Desroche (1963), W. E. Muhlmann (1968), M. Sinda (1972).
3. For a synoptic perspective the reader is recommended to see A. Kouvouama's preface and J.-C. Barbier's introduction to J.-C. Barbier, E. Dorier-Apprill, C. Mayrargue (1998), *Les formes contemporaines du christianisme en Afrique noire* (Bordeaux, Institut d'Etudes Politiques de Bordeaux, Les Bibliographies du CEAN no. 9).
4. J.-C. Barbier *et al.*, *op. cit.*, pp. 18–19.
5. Matsoua himself had never claimed to be a prophet or attempted to found a Church.